عقلانية الفكر القسومـــــي

الأستاذالعربي عبدالقادر
جامعة محمد بوضياف
المسيلة

يعد عبدالرزاق قسوم رائدا في الفكر الإسلامي والإنساني ووجه للثقافة الجزائرية المعاصرة والمتتبع لكتاباته الصحفية و على وجه التحديد في كتابه " نزيف قلم جزائري "يلمس المنهج الرباني الثابت وقيمه وموازينه ,والبشر يبتعدون أو يقتربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد التطبيق والسلوك، ولكن ليس شيئا من أخطائهم محسوباً على المنهج، ولا مغيراً لقيمه وموازينه الثابتة وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك، فإنه يصفهم بالخطأ، وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف، ولا يتغاضى عن خطئهم مهما تكن منازلهم و لا ينحرف هو ليجاري انحرافهم. ونتعلم نحن من مقالاته، أن تبرئة الأشخاص تساوي تشويه المنهج، وأنه من الخير للأمة الإسلامية أن تبقى مبادئ منهجها سليمة و تعرف من مقالاته كيف تتحمل تبعات الرأي والتصرفات ، فهي لا تعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة.

1/ فكرة الاستقراء في مقالات نزيف قلم

معنى الاستقراء :

الاستقراء لغة من قرأ الأمر أي تتبعه. ونظر في حاله، وهناك من يرى أنه بمعنى جمعته و ضممت بعضه إلى بعض ليرى توافقه واختلافه، و كلا الأمرين يعني التتبع لمعرفة أحوال شيء ما.

اصطلاحا

الاستقراء عند المنطقيين :هو الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة . ويعرفه الإمام الغزالي بقوله «هو أنه تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به » ، ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله:« تعميم من حالات جزئية تتصف بصفة مشتركة».

و ينقسم الاستقراء إلى ناقص و تام:

أما الأول فهو انتقال الذهن من الحكم على الجزئيات إلى الحكم على الكلي. وهو استدلال معرض للاختلال لاحتمال سقوطه بعدم استقراء جزئية واحدة. وأما التام فهو انتقال الذهن من الحكم على جميع الجزئيات إلى الحكم على كلها.

طبيعة المنهج الاستقرائي :

يعتبر المنهج الاستقرائي من المناهج المشتركة بين العلوم الطبيعية و العلوم الإنسانية. وإن كان في الغالب يوظف في مجال دراسة العلوم الطبيعية. و يعتمد منهج الاستقراء العلمي في مجال دراسة العلوم الطبيعية على «الملاحظة العلمية» في مجال الطبيعة و الانتقال من ملاحظة قضايا جزئية تشير إلى ما نلاحظه إلى نتائج كلية تتضمن وقائع أو ظواهر أخرى سوف تحدث في المستقبل و لم تلاحظ بعد، وهذا يعني أن مقدماته تمثل الجزئيات التي تم استقراؤها في الواقع عن طريق الملاحظة و التجربة. أما نتيجته فتعبر عن القانون العام الذي تندرج تحته الجزئيات التي شاهدناها، بحيث يمكن القول أننا نصل إلى تعميم ما جاءت به النتيجة من خلال الاستدلال الاستقرائي و لكنه لا يمثل ما شاهدناه فحسب، وإنما يعبر أيضا عن الوقائع التي سترد علينا في المستقبل.
ويمر الباحث في إعماله للمنهج الاستقرائي على ثلاث:

مراحل البحث :

الملاحظةللوقوف على ما بين الأشياء من أوجه شبه و اختلاف.
مرحلة الاختراع و الاكتشاف: وهي مرحلة وضع الفروض التفسيرية التي توضح العلاقة بين الظواهر المشاهدة أو التي أُجري عليها التجارب..

ثم مرحلة البرهان و هي مرحلة تحقيق الفروض من خلال الرجوع للواقع.

والملاحظ لدينا من هذا أنّ ما يبتني عليه الاستقراء العلمي هو الارجاع من الجزئي إلى القوانين العامة ب بأمتلاك استنباطي أو بمعونة الارجاع إلى السببية العقلية أو العلمية كما هو الحال بالنسبة للظواهر.

ابتداء من الحركة العلمية للإستقراء ولكن ما يتوصل به إلى الغير عن طريق الضابطة الكلية العلمية أو العقلية أو الدخول تحت تشكيل قياس استنباطي، وبعد ذلك يتوصل الفكر إلى أنّ ما بين هذه الأمور تندرج بها إلى علاقات مفهوم ومقتضى تلك العلاقات المفهومية فنحننؤمن بالنتيجة على الاستنباط العلمي العام وإن كان بداية حركته من الاستقراء في التوصل إلى الجزئيات إلتي تقرر قانونا عاما إلاّ أنّ ما يرتكز عليه علاقات مفهوم يؤخذ بواسطة المحتملات المرددة ليكتسب كل فرد, وفرد, حالة من الاستجابة تحت اثباته بواسطة ذلك المفهوم من خلال حركة وجود تلك العلاقة وتسمى بين الفرد والفرد الآخر المحتمل بما أنه ممكن الادخال أو الإخراج .أن توجه في صلتة مع المفهوم والمفرد فيحقق حالة من الترابط الخاص فتجرى عليه عملية الاختبار والتجربة وبذلك يقع مطاوعا للإستجابة فيضفي عليه علاقة المفهوم العلمي بأنّ كل حديد يتمدد بالحرارة ويكون بحسب التصور المنطقي, أنّ الكلي الطبيعي حقيقته بوجود أفراده أو أنه بنفس تشخيص يوجب تحقق المفهوم الكلي من غير الارجاع إلى الفرد ويكون نظر "رسل "أنه بوجود الفرد يحقق علاقة مفهومية مع الكلي ولا ينظر إلى الكون الطبيعي بوجود أفراده حتى يكون من نوع اندراج الأفراد تحت المفهوم وبالجملة أنّ ما يقع في تصور رسل أنّ الفرد بالنظر إلى المفهوم أخذ فيه على نحو العلاقة بين العنوان والمعنون وليس النظر إلى انطواء العنوان على المعنون الّذي اصطلح عليه باندراج الفرد تحت المفهوم.

إلاّ أنّ ما يناسب أفق الاستقراء العلمي هو الإرجاع إلى العناوين المشيرة إلى المقومات فإنّ أخذ فيها محض الكاشفية المجردة فلا يكون أثرا علميا وإن أخذت العناوين بما أنها في مقام حركة الاستنباط فينظر إليها تارة بنحو الطرائقية وأخرى بنحو الموضوعية عندما تؤخذ منضمة إلى المقومات فتوجب بذلك حركة استنتاجية، وبذلك يتوصل بالإستقراء إلى الضابطة الكلية العامة وينتج منها قوانين علمية.

المنهج الاستقرائي عندعبدالرزاق قسوم:

تعودنا أن نقرأ في كتب" مناهج البحث العلمي" أن بداية استخدام المنهج الاستقرائي في البحث كانت على يد فرنسيس بيكون و كلود برنار و جون ستيوارت ميل و غيرهم من المفكرين الغربيين مع إغفال تام لإسهامات علماء المسلمين في وضع لبنات هذا المنهج و في تطوير آلياته

و مفاهيمه. رغم ما لإسهاماتهم من اثر عميق في تطور العلوم الطبيعية والإنسانية يشهد بها القاصي والداني، إلا أن غفلة بعض الباحثين في" مناهج البحث العلمية "عن تراثنا العلمي حالت دون جلاء الإسهامات المنهجية لعلمائنا المسلمين في حقل المناهج العلمية ويكفي الرجوع إلى دراسات ابن الهيثم في علم البصريات و ابن النفيس في علم الطب و الطوسي في علم الفلك و ابن حيان في علم الكيمياء و ابن خلدون في علم العمران... للوقوف على عمق توظيف و إعمال علمائنا المسلمين للمنهج الاستقرائي.

ولنقف في هذا المقام مع نموذج يظهر حضور المنهج الاستقرائي في الإنتاج العلمي الإسلامي. يقول ابن الهيثم: ونبتدئ في البحث، باستقراء الموجودات، و تصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات؛ و نلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما مطرد لا يتغير. وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس. ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج مع انتقاد المقدمات و التحفظ من الغلط في النتائج. ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه و نتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الأهواء» ، وفي هذا القول الموجز كما يظهر جمع ابن الهيثم بين الاستقراء و القياس و قدم فيه الاستقراء على القياس و حدد فيه الشرط الأساسي في البحوث العلمية الصحيحة، وهو أن يكون الغرض طلب الحقيقة، دون أن يكون لرأي سابق أو نزعة من عاطفة أيا كانت داخل في الأمر، ثم إقرار تلك الحقيقة على ما هي عليه.

وها هو أستاذنا قسوم، يستخدم المنهج الاستقرائي في براعة نادرة لتفسير الظواهر العرضية التي قابلها، تفسيرا يستند على التحليل و التركيب و مستخدما قياس الغائب على الشاهد من ناحية، واستقراء الحوادث العارضة في المشاهدة، للتوصل إلى أحكام، فكان عمله باهرا في نطاق التاريخ ومتابعة أحداث فترة التسعينيات التي مرت بها البلاد, و المتتبع لمقالاته يظهر له بجلاء التزام الكاتب بالمنهج الاستقرائي حتى إننا لا نكاد نجد قاعدة من القواعد العامة أو كلية من الكليات التي بحثها في كتابه هذا إلا و قد دلل لها – من جملة أدلتها –بالاستقراء. سواء اكتفى في ذلك بالقول بأن تلك القاعدة أو الكلية محل الاستدلال قد ثبتت باستقراء

عقليوقد صرح بذلك في مواطن ، منها في قوله:"في زمن إشراقة شمس الحرية و الوحدة على الشعوب , بزغت عندنا خيوط شمس باهتة تعاني من الكسوف ..."

حيث أكد على نتيجة الاستقراء في مضمونها في مواضع كثيرة و ذلك بعدم استثناء موضع أو حال مما يشملهالموقف .

و في مقاله" الظاهر ... و المستتر ...في إشكالية الفعل الجزائري "ص 37 إن الضمير المستتر في إشكالية الفعل الجزائري إنما تصنعه هذه الدعوات النشاز التي تنعق في الجزائر بكل حرية ..."ص 39و هو تصديق عام لوضع عام تناوله بكل موضوعية وعقلانية عانى منه المجتمع الجزائري طيلة العشريةالسوداء آوآخر القرن الماضي .

/ الانسجام الذاتي و فكرة المبدأ:

الأنا متعدد عندنا و(الآخر) كذلك فيه آخرون ، أصوات متعددة متناحرة ، فالموقف من الغرب عندنا يتحدد بنوع (الأنا) المتكلم ، فيكون هناك من يقبل وهناك من يرفض . وعندما أقول أن المسألة معقدة ، لا يعني هذا أنها غير قابلة للفهم ، ولكن هناك عدة معطيات كإشكالية ضرورية تتكون من عدة عناصر ومشاكل مترابطة ، فلا ينبغي تبسيطها فقط إلى (نحن) و(الغرب) . فالغرب متعدد ونحن متعددون ، والعلاقة فيما بيننا ليست على مستوى واحد . واشكال الحداثة يقع بين هذه المعطيات المتقاطعة المتداخلة ضمن دائرة الحضارة الحديثة التي نحن فيها موضوعاً ، أي خضوعاً للاستغلال ، وأيضاً كذات تسعى إلى التطلع والمواكبة ومع كل هذا فنحن ملزمون تاريخياً بتحقيق الحداثة ، لأننا في عصر تعدى الحداثة بمعناها القديم إلى عصر التقنيات الرقمة .هكذا يقدم لنا الباحث قسوم فهم الذات فيضع لنا مقولة لـ "جاك بيرك ":"إن مفتاح كل تحليل يكمن في فتح نقاش من داخل واقع ما يحدث على الساحة .فدائما, ينبغي أن نحكم على الكائن من داخله ..."/ مظاهر من العقيدة الاسلامية , بروكسل 1985 :ص16/ مقال/ الاسلام في الغرب بين الاغتراب و المغترب / الطبعة الاولى 1996 ص: 107

ويقول : " ينبغي التأكيد على اننا فشلنا حتى الان في وضع تصور سليم لمشروع ثقافي وطني ..."ص :141من حيث دلالة العقلانية و علاقتها بالعقل كأداة ومرجع معرفي, نلمس لدى مفكرنا رؤيته الوجودية الحسية و الواقعيةو هي موقف فلسفي يقوم على ما يمكن أن نسميه بثنائية «العقل العارف، والعقل المحايث». فالعقل المحايث هو العقل الكامن في الوجود، بمعنى أن الفرضية الأساس في العقلانية وهي أن الوجود منتظم , نحو معقول فمعقولية الوجودأساس إذن في الفكر العقلاني كما في الفكر العلمي.و بهذا رغم نقده لبعض المواقف فلا يزعم بتحديد نهائي لطبيعة المعقولية . فمثل هذا هو موقف واضح في الوثوقية النابعة من ذات تعي الأهداف وفق النسقية المعاصرة بعيدا عن التوهم الناتج عن التعميم المخل.

الموضوعي وفق أنواع الاستنتاج العقلاني

في عصرنا الحاضر وأمام ما انتاب الحقيقة عموماً والفكر وتياراته على وجه الخصوص من ضياع وتهميش وتداخل تحت ظل النظام العالمي الجديد، وأهمها ذاك التداخل الذي حصل لتيارات الحداثة بكل تجلياته والفلسفة العقلانية من ضمنها، مع تيارات ما بعد الحداثة، ممثلة بموت ونهاية كل شيئ (الفن، الأدب، الفلسفة، الأخلاق، الدين وغير ذلك من مفردات الحياة)، ليتشكل تياراً فكرياً هجيناً (ما بعد الحداثوي)، غابت فيه ملامح العقلانية ، لتسود فيه رؤى فكرية غلب عليها طابع الفوضى الفكرية، والعبث، واللا معقول، والتجزيئية، واللا أدرية، وعدم الإيمان بجدوى القيم الأخلاقية الجوهرية، والتمسك بالشكلي، و الذييحاول أن يجعل من الظاهرة، وفي مقدمتها الإنسان، ذرة معزولة عن غيرها من الظواهر ليس لها لون أو طعم أو رائحة، إلا لون وطعم ورائحة ما يخدم مصالح قادة هذا النظام الكوني الجديد.. الخ.

من هنا وأمام مواجهة هذه الحالة من اللا معقول، وبخاصة ما يمارس اليوم تجسيداً عملياً لكل هذا اللا معقول في الجزائر من قبل قوى الظلام ومن يساندهم على الساحة العربية والعالمية، يفرض علينا المنطق والواجب تجاه إنسانيتنا، ضرورة التمسك بما هو إيجابي وعقلاني، وإعادة إنتاج ما من شأنه أن يعيد إنتاج إنسانيتنا، وبخاصة الفكر المعتدل في أطر فكرية لا حزبية بعد تنقيته من جراثيم ما بعد الحداثة، ونفض غبار الجهل عنه،وكل ما اعتراه من تفاهات فكرية هدامة وتخريبية تريد النيل من جوهر الإنسان، والعودة به للوراء مع حواملها الاجتماعية إلى حياة العصور الوسطى، عصور الظلام والجهل , هذا ويأتي في مقدمة الجهود الايجابية التي بذلها أستاذنا قسومإعادة الإنسان إلى جوهر إنسانيته، هي رد الاعتبار للفلسفة العقلانية أو الفكر الإيجابي ، ومحاولة إغنائه برؤى فكرية جديدة تضفي عليه طابعاً أكثر عقلانية وعلمية تتناسب وتحديات المرحلة الراهنة، منطلق من إعادة التأسيس لمبادئ وقواعد أكثر علمية وعقلانية واقعية معاصرة تتناسب وطبيعة التحديات المعاصرة.

/نظرية المعرفة عند المفكر عبدالرزاق قسوم

العقل في جوهره عالمي الهوية , إنساني الملامح و الآفاق، فإن العقلانية غير ذلك، إذا هي تتعدد بتعدد الثقافات , و من ثم فإن العقلانيات العربية اليوم هي حقيقة وجود يحمل في ذاته تناقضات . الشيء الذي يجعل الفكر العربي منذ نهاية القرن الماضي امام محاولات عدة . و ذلك باستلهامه مفاهيم من الفكر الأوروبي ليتمكن من التوفيق و إقامة التوازن بين واقعه و واقع مغاير له، انطلاقا من أنهما لحظتان فكريتان مختلفتان، حيث الفكر الطبيعي و التقني هو نتاج غيرنا، و الأفكار الروحية هي تراثه، و من ثم أجريت عملية تكييف ، لكي يتوافق مع الأفكار الروحانية، كما أجريت عملية مماثلة للأفكار الروحية لكي تقبل الآخرو أصبح بالتالي جوهر المشكلة هي ما الذي نأخذه

من الآخر باعتباره "متقدّما" و ما الذي نتمسك به في تراثنا؟. فلاشك من أن الصّدمة قد أفضت بالضرورة إلى دخول ثقافة الآخر على مجتمع يحوي ثقافة واحدة و هي الثقافة العربية الإسلامية، فكان من نتائج تلك (الصدمة) دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية دون مجابهة تضمن استبدال التوازن القديم إلى المجتمع بتوازن جديد أكثر فعالية و إنسانية، إذ في هذا الإطار نعتقد بأن ثنائية الأنا/ الآخر أصبح لها مغزى أعمق مما هو ظاهر للعيان .و عليه لم تكتسب العقلانية شرعيتها كمفهوم على المستوى الفلسفي و الفكري . في الفكر الإسلامي وفي محيطنا المعرفي الجزائري لدى النخبة ، و لم تكن امتداداواستمرارا للفكر العربي، و إنما هي إحدى المحاولات المعرفية التي فرضت نفسها في ثنايا الفكر الراهن على يد مفكرينا و على رأسهم الشيخ الدكتور عبدالرزاق قسوم .هذه العقلانية كممارسة قائمة على الإيمان بقدرة العقل و على تفسير المعقول و اللامعقول...إ

رغم الأزمات الحادة للفكر العربي فهو لا يزال يعاني صدمة التحولات الكبرى التي تقع أمام عينيه بدون أن يساهم فيها مباشرة، كما لا يزال يأخذ منها مواقف تحددها مرجعية تقليدية مطلقة عوض أن تكون مرجعية ذات معقولية واضحة مبنية على الاستدلال و التجريب...في حين الرجوع إلى معقولية التفكير يفيد تحرر الفكر من المرجعية الماضوية الضيقة، فالعقل هو مفتاح الحداثة و المعقولية هي سبيل التحديث، لذا نجد الفكر العربي تميز بثلاث مستويات من العقلانية :

- المستوى الأول : تواجد لا عقلانية متخلفة و سابقة زمنيا تمثلت في الموروث القديم الذي كان سائدا.
- المستوى الثاني :حضور عقلانية (فوقية) كونها مكتسبة عن الآخر أي انفعالية اتجاه آليات الحضارة الحديثة، و ذلك ما مثله الفكر النهضوي في القرنين الأخيرين.
- المستوى الثالث :هناك عقلانية تأسيسية من خلال استيعاب المناهج المعاصرة و الأطروحات المختلفة التي و أن اتفقت على منطلق "النهوض" فإنها تختلف في الرؤية و التعامل في تحقيق هذا النهوض فمن هذا المستوى الأخير كرَس الكثير من المثقفين العرب جهودهم و محاولاتهم للبرهنة على ضعف الأسس المنطقية والإستقرئية لهذا الجانب أو ذاك من الثقافة العربية و الاسلامية

ضمن هذه المستويات الثلاثة نجد المفكر و الباحث عبد الرزاق قسوم قد أعاد الفكر الرشدي إلى الواجهة و أخضعه إلى المساءلة من جديد وفق نظرية خاصة به "عقلانية قسومية بإ متياز "

فهي محاولة احداث نقلة نوعية في بنية فكرنا و ذهنيتنا، من العقل الناقد الى توجيه العقل بذاته، المنتج للمنتوجات المعرفية والسياسية والاجتماعية، اذ بدون ممارسة هذا النقد سيبقى كل حديث عن التقدم والوحدة، حديث اماني واحلام. لكن قسوم لا يتحدث عن نقد العقل العربي الا من داخل التراث نفسه وبوسائله الخاصة وامكاناته الذاتية، ومن خلال عمليتي امتلاك وتجاوز الراهن ، بما يمد جسور التواصل مع الآخر الكوني، من دون الانقطاع عن جذور الامة والجماعة والتاريخ العربي و الاسلامي .فهو يتوجه الى المستقبل بقدر كبير من النظام والحكمة والفاعلية والجدوى والاتقان والنزاهة والرؤية الواضحة.وهكذا اضحى من رواد التيار الاسلامي الانساني الحضاري، بعنايته الكبيرة بمشكلات الاسلام التاريخية والحضارية ومحاولة وضع الاسلام في معرض الحداثة التي اضحت جزءاً من وجودنا. ولعل تلك النزعة الانسانية لديه ، هي الدافع الاساسي في استئناف النظر المفاهيمي للفكرة الاسلامية والارتقاء بها الى مستوى الواقع

ولعل مجهودات استاذناالفكرية من اهم الحلقات في الكتابة الجزائرية المعاصرة التي ساهمت في ترسيخ مبادئ القراءة النقدية البناءة والمراجعة للتراث العربي والاسلامي بجميع اشكاله الدينية والنهضوية والقومية . واكثر ما تمثل ذلك في مراجعة الكاتب / نزيف قلم جزائري /لقضايا الوحدة ن بين الجزائريين والعقلانية والخصوصية ، وفي حضور الأسلوب النقدي الاصيل في هذه المراجعة، في اطار رؤية منهجية ذات طابع تركيبي جدلي يؤسس تراكماً معرفياً يُخرج الوعي الجزائري من ثنائياته النهضوية الموروثة. وقد اسهمبمراجعاته للفكر العربي في اعادة بناء مفاهيم الثورة والدولة الوطنية والاسلام والحداثة والعلاقات الشائكة في ما بينها، وكذلك في ابراز نقاط الضعف والقوة في التفكير والحدود الفاصلة بين المعرفي والايديولوجي فيها. كل ذلك من خلال رؤية مفتوحة على النصوص المواكبة له، من دون مركب نقص تجاه الغرب .

من القراءات التأويلية للفكر القسومي قراءته التي تبحث في نظرية المعرفة بدلاً من المقاربة الايديولوجية التي اسهمت في تغييب دور الفكر النهضوي والاصلاحي العربي في نهضة الامة وتنمية المجتمع. وفي هذا يتوافق مع الجابري في استثمار التطور الحاصل في المناهج الغربية الحديثة وفي التقليل من الهم الايديولوجي، ما يجعله ينتمي الى التيار العقلاني العربي لكن لكل استراتيجيته الخاصة .على اساس هذا النقد المنهجي نقرأ الشيخ قسوم من الداخل بالتبسيطي والتصنيفي.

فوظيفة التفكير هي إكتشاف العلاقات بين الحقائق و الاستدلال بها على حقائق أخرى وليس ذلك أن الشيخ قسوم سلك منهجا صوريا محضا لأنه بين لنا في مواضع كثيرة أن الحس أصل من

أصول المعرفة وأداة من أدواتها أيضا لكنه لم يقتصر على المحسوسات والظواهر بل دعا الى تجاوزها والى جعل الحواس خادمة للعقول وواضعة للمعطيات الحسية أمامها قال في ص 131: "نحن على أعقاب القرن الواحد و العشرين المليء بالأسرار و الألغاز نأمل أن تبدأ أجيالنا فيه عهدا جديدا مع الغرب يتسم بالاحترام " هنا يحذرنا من السطحية دون بحث عن الحقائق أو أن نلحق شيئا بشيء دون أن نتحقق من ذلك فقد انتشرت السطحية بعدم الحذر من ارتكاب ضلالات. وذلك لأننا نجد الظواهر كثيرا ما تخالف البواطن و خاصة فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية ومن ثم فانه دعا الى أن نبني أمورنا على الاختيار فلا نقرر حكما ولا علما الا بعد الاختبار. وخصوصا في معرفة الناس والحكم عليهم و توجيههم . وقد اهتم بالعقلانية المعتدلة التي نجد فيها من الفكر الباديسي. و عليه فسلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا و يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه ويعقم بعقمه لأن، أفعاله ناشئة عن اعتقاداته وأقواله

وليس معنى ذلك أنه أعطى للعقل القدرة المطلقة على الإدراك أو أنه جعله لا متناهيا في هذا الإدراك أو استغنى به عما عداه بل أنه اعتبره نسبيا محدودا على نحو ما تصوره ابن خلدون والغزالي وابن رشد أيضا إذ ليس العقل محيطا بالحقائق كلها أو أن جميع ما يصل اليه من مدركات فهو يقيني لا مجال للشك فيه لأنه قرر أنه لا ينبغي للإنسان أن يعجب بعقله أو يغتر به إذ كثيرا ما يقع فريسة للظنون والأوهام أو مجرد الفروض التي لا دليل عليها ولا برهان فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حدا يقف عنده وينتهي اليه ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها وقد شهدت أثارها ولا تستطيع أن تعرف كنهها كحقيقة الروح والعقل في الإنسان.

خاتمة :

ظاهرة الربط بين الفكر الفلسفي العقلاني و المشكلات الفكرية التي يعيشها الانسان عامة و الجزائري خاصة , مع توظيف المبادئ الأساسية لمفكر يرتبط بدينه و مقومات أمته , و هي مقاربات قلما نجدها في الفكر الإصلاحي في الحركة الفكرية بالعالم العربي و الإسلامي .أما الأسئلة الاشكالية فهي بارزة في مقدمة الطرح نحو قوله : الجزائر : هل هي نهاية الامتحان .. و بداية الدرس ؟ و في فكر الغضب الجزائري ... و الظاهر و المستتر في اشكالية الفعل الجزائري .

ان العقلانية تقتضي التسامح مع الجميع فهي ترى أنه ليس لدى أي طرف مهما بلغ ذكاؤه وعبقريته وعلمه وصدقه ما يبرر له أن يتوهَّم بأنه الوحيد الذي يملك الحقيقة الناصعة, وبأن غيره دائماً

مخطئين فالعقلانية هي في جوهرها دعوة صارخة إلى التواضع وتأكيد صارم على حق الاختلاف وهي تؤدي تلقائياً عند الملتزم بها إلى التسامح ليس فقط مع الباحثين المجتهدين وإنما حتى مع الجاهلين المتعصبين فالذي يعرف السبب يبطل عنده العجب

هنا تبرز المفارقة الصارخة التي تعتمد على العقلاني الذي يثق ثقة تلقائية بعقله وإنما لا بد أن يعتمد في رؤاه وأحكامه ومواقفه على حقائق واضحة ووقائع ثابتة ومع استخدامه لكل وسائل التحقق فإنه يبقى في دائرة الظن الراجح والاحتمال الغالب ويرحب بأي كشف يزيده معرفة أو

..يُعدِّل رؤاه فهو ليس محكوماً بالتعصب لاتجاه معين وإنما يميل مع الحقائق حيث مالت

أما أعداء العقل والمحاربون للعقلانية فإنهم يدَّعون بأن عقولهم قادرة وبكل بساطة على الوثوق التام والجزم القاطع فعقولهم كما يتوهمون تملك الحقيقة المطلقة فلا يخامرهم أي شك فيما استقر في أذهانهم وهذا يعني ضمناً وبشكل تلقائي ادعاء قدرات خارقة لعقولهم فلو كانوا يؤمنون بأولوية الخطأ والجهل والتباسات الوهم وصعوبة استخلاص الحقائق وسط ركام التناقضات لما كانوا بهذا الوثوق الأعمى فادعاء الصواب المطلق والدائم لأحكامهم وتصوراتهم وآرائهم ومواقفهم هو ادعاء للكمال وتوهُّم لقدرات عقلية خارقة تعصمهم من الزلل وهو ما لا يمكن أن يدعيه العقلانيون وهذايبرز في ...مقالات الشيخ قسوم .

التهميـــــــــش :

أ/الدكتور عبدالرزاق قسوم "نزيف قلم جزائري "الطبعة الاولى 1996 / دار الامة ص 16 و107 و 141يوسف بن عدي، «قراءات في التجارب الفكرية العربية المعاصرة»، الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2011، ص 264.

–مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق – بيروت ط1407هـ.ص78

– الموسوعة الفلسفية المختصرة، بإشراف د. زكي نجيب محمود دار القلم ، بيروت.24 25 26

– قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر القاهرة 1978م.ص:75

– تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف – القاهرة.ص 133 , 134

– درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق د. محمد رشاد سالم.ص 45 46 47